(c) www.nidaulhind.com

مجلة التربية والعلم ، المجلد (١٤) ، العدد (٢) لسنة ٢٠٠٧

النفوذ البرتغالي واثره على الهند الاسلامية

(٩٠٤-٩٢٠هـ/ ١٤٩٨-١٥١٤م)

ياسر عبد الجواد المشهداني

قسم التاريخ/كلية التربية/جامعة الموصل

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٠٧/١/٢٨	٢٠٠٧/٤/٤

Abstract

The Indian trade resentful the Europeans which is access Indian high expensive price, and given the severity of the need special spices and they wish the best in control of the centers that trade, which was launched by the Arabs and Muslims by his good relations with the people of India and the proximity of the coastline. Even the Europeans started fabricating myths and stories about India's trade . lot of it stems from heaven , and of them said that they come from the country guarded by snakes .. , finally they Thinking about making stuck marine and processing fleets for the occupation of the Indian Ocean and the expulsion the Arabs and Muslims who have been the role of intermediary in the transfer of the President of Indian goods to the world.

From here , this search which is entitle : " The Portuguese influence and its impact on the Islamic India (904-915 H/ 1498 –1509 AD) " discussed one of those European powers that have a lot in the area of maritime activity . its the Portuguese and Their discovery to the Cape of Good Hope and then control the trade routes to India and there impact on the internal conditions of India and its relations with Arab and Islamic forces prevailing then.

The search depend on a group of the reliable sources close to those events, as well as several references supplied the search for new opinions and analysis.

الملخص

اثارت التجارة الهندية وما تدره من ارباح مالية كبيرة امتعاض الاوربيين إذ كانت تصلهم المنتجات الهندية غالية الاثمان ، ونظراً لشدة حاجتهم اليها وخاصةَ التوابل فأخذوا يخططون للسيطرة على مراكز تلك التجارة التي كانت بايدي العرب المسلمين بحكم علاقاتهم الطيبة مع اهل الهند وقربهم من سواحلها . حتى ان الاوربيين بدأوا ينسجون الاساطير والروايات حول تجارة الهند فمنهم من قال انها تنبع من الجنة ، ومنهم من قال انها تاتي من بلاد تحرسها الافاعي .. ، وفكروا اخيرا بتسخير قواهم البحرية وتجهيز اساطيلهم من اجل

(c) www.nidaulhind.com

احتلال المحيط الهندي وتحجيم دور العرب المسلمين الذين كـانوا يمارسـون دور الوسـيط الرئيس في نقل السلع الهندية الى العالم .

ركز بحث " **النفوذ البرتغالي واثره على الهنـد الاسـلامية (٩٠٤-٩٢٠هـ/ ١٤٩٨-١٥١٤م)** " على احدى تلك القوى الاوربية التي كان لها شأن كبيـر فـي مجـال النشاط البحري وهم البرتغاليون وجهودهم في كشف طريق راس الرجاء الصالح ومـن ثـم السيطرة على طرق التجارة الهندية واحتلال سواحل الهند الغربية واثر ذلك الاحـتلال علـى احوال الهند الداخلية العامة وعلاقاتها مع القوى العربية والاسلامية السائدة انذاك .

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر القريبة من تلك الاحداث فـضلا عـن عـدة مراجع ذات الصلة .

المقدمة

تعتبر تجارة التوابل احدى اهم المرتكزات الاساسية التي يقوم عليها اقتصاد دولة الهند الاسلامية في العصور الوسطى . وكانت تلك التوابل قد تكاثر الطلب عليها مـن قبـل اهـل الشرق والغرب على حد سواء من اجل استخداماتها المختلفة وكان التجار العرب المـسلمون وخاصة تجار دولة المماليك ابرز من ادى دور الوسيط في اعمال تلك التجارة وتكفل بنقلهـا من مصدرها في بلاد الهند الى الموانئ العربية فـي البحـرين الاحمـر (بحـر القلـزم) والمتوسط (بحر الشام) وبالتالي الاستفادة ماديا من عوائدها .

وفي نهاية فترة العصور الوسطى قام البرتغاليون باعتبارهم احد اهم القوى الاوربيـة البحرية بتجهيز حملات حربية من اجل احتلال سواحل المحيط الهندي وتحويل طرق التجارة الى اوربا مباشرة دون ان تمر بالموانئ العربية وذلك بعد اكتشافهم لراس الرجاء الصالح سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧ م .

تناول بحثنا الموسوم " **النفوذ البرتغالي واثـره علـى الهنـد الاسـلامية (٩٠٤-٩٢٠هـ/ ١٤٩٨-١٥١٤م)** " مدخلا عن اهمية التجارة الهندية لدى الاوربيين ، ومن ثم تطرق الى الاسباب التي عجلت بالبرتغاليين الى احتلال سواحل الهند الاسلامية فـضلا عـن ذكر ردود افعال كل من الهنود (مسلمين وهندوس) والعرب المسلمون والاوربيون حيال تلك الاحداث ، كما احتوى البحث على نتائج ذلك التدخل على الهند واثره في اوضاعها الـسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع التي رفدت البحث بالتحليلات والارآء القيمة ، فمن المؤرخين من ركز على النشاط التجاري للهند وانواع السلع الهنديـة كالرحالـة محمد بن ابراهيم ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٩م) في كتابه (تحفة النظار في غرائـب

(c) www.nidaulhind.com

الأمصار وعجائب الأسفار) ومنهم من عرض تداعيات التـدخل البرتغـالي ضـد الـسيادة الاسلامية على المحيط الهندي والحملات التي جردوها ضد الاسـاطيل الهنديـة والاسـلامية كمحمد بن احمد ابن اياس

(ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) في كتابه (بدائع الزهور ووقائع الدهور) و زين الـدين عبد العزيز المعبري (ت ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م) في كتابه(تحفة المجاهدين في بعـض احـوال البرتكاليين) هذا فضلا عن عدد من المراجع ذات الصلة بالبحث والدراسات الاجنبيـة التـي تحدثت عن طبيعة النفوذ البرتغالي كدراسة المستشرق ك . بانيكار **Pannikar** بعنوان : اسيا والسيطرة الغربية .

النفوذ البرتغالي واثره على الهند الاسلامية
(٩٠٤-٩٢٠هـ/ ١٤٩٨-١٥١٤م)

مدخل عن اهمية التجارة الهندية

وصفتْ بلاد الهند بانها بلاد العجائب والخيرات فقد حباها ا بـانواع مختلفـة مـن الموارد الطبيعية مما اهلها لكي تكون الدولة الاولى في عالم العصور الوسطى من حيث كثرة صادرتها مما تنتجه ارضها من تلك المواد التي تزايد الطلب عليها من الشعوب الاخرى ، وقد اوجز احدهم خيرات بلاد الهند حين قال :" **في بحرها الدر وفي جبالها الياقوت وفـي برهـا العطر** " [1] ولم تكن تلك الاهمية خافيةَ عن اذهان الاوربيين فالهند كانـت ارضـا مرغوبـة الجانب وشكلت عنصرا جوهريا في تاريخ العالم فمنذ اقدم العصور ظلت اغلب الشعوب تجعل الهند قبلة رغباتها راجية ان توفق للوصول الى كنوز الطبيعة التي تجمع بين الاحجار الكريمة والتوابل والروائح العطرة فضلا عن كنوز الحكمة ولاشك ان الطريقة التي انتقلت بهـا تلـك الكنوز الى العرب كانت لها اهمية تاريخية مرتبطة بمصير الامم [2] .

وعلى الرغم من كثرة المنتجات والصادرات الهندية في ذلك الوقت فانه يمكن الجـزم بان الافاوية كانت من اهمها وهي مطلب جميع الامم افراداً وتجـارا لا بـل ان عـددا مـن السياسيين دخلوا معارك طويلة وطاحنة من اجل احتكارها كما سنبين لاحقا .

والافاويه [3] هي المواد المستعملة في مجالات كثيرة فمنها ما يستعمل فـي التطيـب واضافة النكهة على الاطعمة (كالبهار والفلفل والكاري والقرنفل والقاقلة والخولنجـان ...) ومنها ما يستعمل للتعطر (كالمسك والياسمين والبخور ..) ومنها ما يستعمل للتطبب من العلل والامراض (كالزنجبيل و الكافور ..) [4] وكانت الاراضي الواسعة في سواحل بـلاد الهنـد ارضا ملائمةَ لزراعة كل تلك الانواع نظرا لتربتها الجيدة وامطارها الغزيرة ومعرفة سكانها

(c) www.nidaulhind.com

بطرق ومواعيد زراعتها .

ومن اجل وصول تلك المواد الى المستهلكين في دول العالم كان لابـد مـن وجـود وسطاء من تجار وسماسرة وغيرهم ، وخاصة اولئـك الذين كانت سـفنهم تمخـر عبـاب البحار بمهارة فائقة والمقصود بهم هنا التجار الملقبون بالكارمية [5] وهم كل من اشتهر بجلب النفيس والغالي والنادر من سلع بلاد الهند وخاصة الافـاويه ، ونظرا لعدم امكانية نقل تلـك المواد بالطرق البرية اولا ، وكذلك لقرب السواحل العربية والاسلامية من السواحل الهنديـة ثانيا ، فقد نقلت السلع الهندية بالطريق البحري من الموانئ الهندية (كُجـرات [٦] **Gujarat** وقاليقوط **Calicut** وجوا **Goa** ...) الى الموانئ العربية المعروفة (كجدة وعيذاب والقـصير الواقعة على البحر الاحمر وهرمز بين الخليج العربي وخليج عمان ، و القاهرة والاسـكندرية على البحر المتوسط ...) على ايدي التجار العرب المسلمين . ومن هناك كانت تحمل الـسلع مجددا لتنقل الى المـوانئ الاوربيـة (كمينـاء انتـويرب **Antwerp** ومرسـيليا **Marsilia** واندرلخت **Anderlecht** ..) وغيرها ، ولعل المهم الذي ينبغي ملاحظته هنا هـو ان الـسلع الهندية كانت لابد وان ترتفع اثمانها بعد الرحلة الطويلة التي اسـتغرقتها والـضرائب التـي فرضت عليها في الموانئ .

ان مثل هذا الامر اغاض اصحاب المتاجر الاوربية الذين امتعضوا وحثّوا حكومـاتهم على اتخاذ تدابير ملازمة لحل مشكلتهم .

في تلك الفترة (العصور الوسطى) كان السلاطين المماليك هم ابرز المستفيدين مـن تجارة الهند إذ كانوا يحكمون اغلب المناطق العربية التي تقع على الساحل المقابل من سواحل الهند الغربية على مدى ثلاثة قرون وبواقع دولتين هما : دولة المماليـك البحريـة (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) ودولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م) التي سقطت على يد السلطان سليم الاول في معركة مرج دابق وحـول مـصر الـى ولايـة عثمانية [٧].

وعملت الدولة المملوكية الاولى على توطيد الامن والاستقرار واقامة نهضة اقتصادية بالاعتماد على موارد تجارة الهند فاصدرت العديد من الاوامر والمراسيم التي تحث رعاياهـا من التجار على اقامة نشاط بحري تجاري مع بلاد الهند ، ولا يفوتنا الـذكر هنـا ان مـدى حرص وتشجيع سلاطين الهند الاسلامية للتجارة مع العرب واثره في جعل مـونئ كُجـرات وقالقوط تزدهر وتحصل على الثراء الكبير ، كما ان سياسة حسن معاملة التجار الوافدين الى الهند من اهم اسباب الازدهار الاقتصادي مما مكن الهند فيما بعد من الـدفاع عـن موقعهـا ومكانتها التجارية [٨] ، ومثلما استفاد المماليك من تلك النهضة فقد ازدهرت بلاد الهند ونمـت في جميع مجالاتها فبادر سلاطينها للقيام باعمالهم العمرانية التي تجلت في بناء العديـد مـن

(c) www.nidaulhind.com

المساجد والقصور ودور العلم وخاصة على عهد الدولة التغلقية التي حكمت بين (٧٢٠-٧٩٠ هـ/ ١٣٢٠-١٣٩٠م) [٩] وكان الفضل يعود لما تدره التجارة الهندية من ارباح مالية كبيرة من بيع التوابل فمثلا كان قنطار الزنجبيل او البهار يباع في الموانئ الهندية بمبلغ اربعة الاف دينار وبعد الضرائب المفروضة عليه يصل موانئ مصر المماوكية بسعر اثنا عشر الف دينار [١٠] أي ان سعرة يتضاعف ثلاث مرات حتى يصل الى اوربا .

وفي عهد الدولة المماوكية الثانية تغيير ذلك الوضع بعد تدخل السلاطين المماليك بارباح التجارة الهندية واحتكارهم لها وكان هذا عاملا ثانويا في تدهور اوضاع التجارة الهندية في عصر السيادة الاسلامية وبالتالي ظهور القوى الاوربية المتمثلة بالبرتغاليين لمنافسة الاساطيل الاسلامية وازاحتها عن تجارة الهند .

حقيقة ان بروز الهند بوصفها قوة فاعلة في المحيط الهندي كان نابعا من قوة اقتصادها وتنوع ما تصدره واذا القينا نظرة سريعة الى بعض تلك السلع التي دخلت في النشاط التجاري بين الهند وغيرها ادركنا مدى قوتها الاقتصادية وانها كانت محور التبادل السلعي في مياه المحيط .

ان ما سبق جعل الاوربيين يسوقون الاساطير والروايات عن منابع تجارة الهند فبدا الخيال الشعبي الاوربي بنسج عدد من الاساطير كاعتقادهم ان التوابل تاتي من الجنة فظنوا بان نهري النيل والجانجا ينبعان من الجنة ، كما ذكر بعضهم ان التوابل تنبع من ارض تحرسها الافاعي [١١] ، وذلك يدل على عدة امور منها ارتفاع اثمان التوابل الى كثر من اربعة اضعاف ثمنها الاصلي - مبعث نشوء تلك الخرافات مقابل مدى الارباح الكبيرة التي حققها المستفيدين من تلك التجارة خاصة التجار الهنود والعرب المسلمون .

دوافع التدخل البرتغالي

تبدأ مأساة التجارة الهندية بالحملات البرتغالية [١٢] التي بدأها البحار هنري الملاح (٧٩٧-٨٦٥هـ/ ١٣٩٤- ١٤٦٠م) ومن ثم مكنت البحار بارثولوميو دياز **Bartolomeu Diaz** من اكتشاف منطقة راس الرجاء الصالح [١٣] سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م ومن ثم وصول البحار فاسكو دي كاما **Vasco de Gama** الى ميناء قاليقوط في بلاد الهند سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م بالدوران حول افريقيا واكمال الاكتشاف السابق . تلك الحملات كان قد رافقها ارسال عدد من الجواسيس والمستشرقين من اجل استكشاف الطريق الى بلاد الهند ومنهم المستشرق بيرو دا كوفلهام **Pedro de Covilham** الذي تنكر بزي مسلم ودخل الهند واقام فيها فترة من اجل دراسة اوضاعها الداخلية تمهيد لاحتلالها [١٤] .

تكمن اهمية رحلة دي كاما في انها حققت حلما ظل يراود البرتغالين قرنا من الزمان

(c) www.nidaulhind.com

تطلب تحقيقه جهودا متواصلة استلزمت منهم تحسين وسائل الابحار والملاحة وبناء الاساطيل الحديثة واستكشاف سواحل افريقيا الغربية [١٥] .

تنوعت دوافع البرتغاليين في الوصول الى الهند فكانت مزيجاً من دوافع سياسية ودوافـع دينية واخرى اقتصادية كما يأتي :

١) **الدوافع السياسية** : وقد تمثلت بحلم الوصول الى شواطىء المحيط الهنـدي ، ذلـك الحلم الذي عسرَ على الاوربيين تحقيقه خاصة بعد سيطرة صلاح الدين الايوبي على سواحل سوريا ومصر (أي سواحل البحرين الاحمر و المتوسط) مما جعل اوربا بقيادة عـدد مـن ملوكها وبالاخص لويس التاسع **Louis IX** ملك فرنسا لشن الحملة الصليبية السابعة تجاه مصر سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) والتي باءت بالفشل فظلت منذ ذلك الحين صاحبة التفـوق في الميدان التجاري البحري مع سواحل الهند [١٦] واصبح هدف الاوربيين هو القضاء علـى تجارة مصر الخارجية واضعافها خاصة بعد ادراكهم انها كانت سبب الهزائم التي لحقت بهـم [١٧] ، فضلا عن انها أي مصر المملوكية كانت تمثل رمز العالم الاسلامي ومقـر الخلافـة العباسية بعد سقوطها في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م .

٢) **الدوافع الدينية** : ليس المقصود من العامل الديني هنا أن الدين هو الباعث الحقيقـي للاحتلال أو أن الدين يشجع وينمي النزعة التسلطية. فالدين أسمى من هذه الصفات اللاأخلاقية والتي لا تتناسب مع الدين بوصفه منهجاً أخلاقياً رفيعاً . وانما المقصود هو سـوء اسـتغلال الدين أو تحقيق الرغبات الشخصية باسم الدين.

كان للدوافع الدينية حضورها في الغزو البرتغالي للسواحل الهندية وقد ظهر دليل ذلـك منذ اليوم الاول لوصول طلائع الغزو البرتغالي الى سواحل ملقـا **Mallaca** إذ عبـر عنهـا قائدهم الفونسو البو كيرك **Afonso de Albuquerque** مخاطبا جنوده قائلا :" **ان البرتغـاليين يؤملون استنزاف قوة الاسلام باقصاء المسلمين عن تجارة التوابل** " [١٨] وذلك ولـد لـديهم اعتقاداً بانهم يخوضون حرب مقدسة ضد المسلمين فضلا عن الهندوس فعملوا على اضعافهم ومعاملتهم كالاعداء ، ومن هنا فقد اعتبر عدد من الكتاب الهنود والمسلمين هجمات البرتغاليين لونا جديدا من الوان الحروب الصليبية بل هي حرب صليبية عاشرة [١٩] وقد اعتـرف احـد المستشرقين ان البرتغاليين كانوا في غضون عصر الاستكشافات الجغرافيـة خـامرتهم دون ادنى شك روح الحروب الصليبية الاولى بيد ان تلك الروح كانت بالضرورة روحـا معاديـة للاسلام [٢٠] .

كانت الهند ميراث السماء بالنسبة للبرتغاليين إذ أعطى البابا نيقولا الخامس **Nicola V**

(c) www.nidaulhind.com

لملك البرتغال تفويضا الهيا بحكم كل الاراضي المكتشفة بجهودهم في الهند خاصة سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م وادعى انها كانت خاضعة للسيد المسيح عليه السلام مع علمنا ان الحركة التبشيرية بالديانة النصرانية لم تلقى رواجا من قبل الهنود الا في فترات متاخرة بعد الاحتلال البرتغالي .كما واعقبه مرسوم اخر من البابا كاليلستوت **Calil stoot** ٨٦١هـ/ ١٤٥٦ م [٢١]. وذلك ما يؤكد اطماع البرتغاليين المبيتة في احتلال الهند قبل تنفيذها بنحو نصف قرن .

وفي السنوات الاولى لوصول البرتغاليين للهند (أي ما يقرب من سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م) حاذروا من الاصطدام العسكري مع المسلمين وغيرهم من اهالي المناطق الهندية التي وصلوا اليها كما نهى القائد العسكري البرتغالي فاسكو دي كاما **De Cama** رجاله عن مهاجمة السفن التجارية للعرب المسلمين التي كانوا يشاهدونها تبحر محملة بالسلع الهندية ، بل ان دي كاما نفسه قبل بشراء توابل رديئة باسعار عالية من حاكم قاليقوط كي ينفي عنه صفة العدو ولكن بعد تمكن البرتغاليين من تثبيت نفوذهم ووصول التعزيزات العسكرية التي طلبوها من ملكهم سنلاحظ حدوث عدد كبير من الانتهاكات والحوادث الشنيعة ضد المسلمين والهندوس ، إذ قاموا بمصادرة التوابل ذات الانواع الجيدة واخذ حسابها ، كما قاموا باضطهاد الاهالي وتعذيب الناس الخارجين عن اوامرهم وظهر ذلك واضحا من كلام القائد البرتغالي دي الميدا **De Almeda** في رسالته التي وجهها الى ملك البرتغال ليخبره بالاعمال التعسفية ضد الهنود والتنكيل بهم [٢٢] .

وكان البرتغاليون قد ارتكبوا مجازر مفجعة عند سيطرتهم على الشواطئ الهندية ويسجل البوكيرك بفخر عددا منها وهو يخاطب ملك البرتغال مهنئا اياه بالسيطرة على مدينة جوا **Goa** الهندية إذ قال :" **وبعد ان احرقت المدينة واعملت السيف على كل الرقاب واخذت دماء الناس تراق اياما عدة ... وحيثما وجدنا المسلمين لم نوفر لهم نفساً ..**" **[٢٣]** ان هذا التوجه كانت تؤججه الحروب الصليبية وتاكيدا لها فقد امر البابا برسم الصليب على اشرعة السفن وعلى ملابس البحارة فلا عجب بعد ذلك من التصرفات اللاإنسانية التي قام بها البرتغاليون في الهند وسواحلها ان عَدَتْ حربا صليبية جديدة [٢٤] .

٣) **الدوافع الاقتصادية** : تعتبر تجارة التوابل الهندية من العوامل الدافعة اقتصاديا في التاريخ لكونها تدر ارباحاً خيالية على المستفيدين منها ولم يتمكن الاوربيون من الوصول الى منابعها إلا عن طريق الاراضي التي يتحكم فيها المسلمون إذ ان تلك المواد كانت تصل الى الاوربيين باثمان عاليه نتيجة للضرائب والاحتكارات . ومن هنا بدأ تفكيرهم باحتلال السواحل الهندية ليحلوا محل العرب المسلمين المسيطرين على منافذ تلك التجارة فقاموا بعدة مضايقات

(c) www.nidaulhind.com

للتجار العرب والمسلمين هناك وعرضوهم للسلب والقتل وساهموا بخراب الموانئ التجارية وهكذا كان الاحتلال البرتغالي عاملا حاسما في انهيار التجارة الهندية والملاحة الاسلامية [٢٥].

وحال دخول اول قوة اوربية الى المحيط الهندي في سنة ٩٠٤ هـ/١٤٩٨م حتى بدت الاطماع البرتغالية اشد ضراوة عندما اعلن دي كاما انه احق بالسيادة على ساحل الهند الغربي من العرب وانه جاء لينافس القوى البحرية الموجودة هناك ، فاغلق طرق الابحار بوجه تجار الشرق لمنع وصولهم الى مصر واتمام السيادة البرتغالية على البحر الاحمر والخليج العربي تنفيذا لاوامر قائده (دا الميدا) فقد استطاع انتزاع تجارة التوابل من ايدي المسلمين والوصول الى منابع الذهب في افريقيا ، وبعد ذلك اسس البرتغاليون مؤسسات تجارية في كُجرات سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م وفي مليبار **Malabar** [٢٦] وبلاد المعبر **Maabar** [٢٧] سنة ٩٠٦ هـ/ ١٥٠٠ م وحالوا دون مرور السفن التجارية الى اليمن والحجاز ومصر [٢٨] وبادروا في اعمالهم التخريبية ومارسوا شتى انواع القرصنة والاستغلال ، وقد سجل المؤرخ اليمني بامخرمة (ت ٩٤٧ هـ/ ١٥٤٠م) مشاهداته من عدد من اعتداءات المحتلين على السواحل الهندية والعربية على حد سواء في كتابة الموسوم " قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر " والذي ينتهي تاريخه حتى سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م إذ قال :" **وفي هذه السنة أي ٩١١هـ/ ١٥٠٦م قويت شوكة الفرنجة وحصل منهم على المسلمين ضرر عظيم في ناحية الهند وهرموز [هرمز] اهلكهم ا** " [٢٩].

موقف الهند الاسلامية من الاحتلال البرتغالي

عند مطلع القرن ١٠هـ / ١٦م كان يحكم سلطنة دلهي الاسلامية السلطان اسكندر شاه ابن بهلول شاه (٨٩٤- ٩١٥هـ/ ١٤٨١ – ١٥٠٩م) ثاني سلاطين اسرة اللوديين الاسلامية **Lodis** [٣٠] والذي شرع باستغلال عائدات التجارة في البناء والعمران فأقام عددا من المرافق الادارية في دولته وانشأ عددا من المدارس والمساجد واغدق العطاء على علماء عصره وقربهم [٣١] ، واثناء ذلك جاءته الاخبار السيئة لتنذر بالخطر القادم من البرتغاليين الذين هددوا بالقضاء على تجارة الهند وبزوال زمن الرفاهية والرخاء الذي الفته بلاد الهند والبلاد التي كانت تتاجر معها طيلة عدة قرون ، فوصل خبر احتلال البرتغاليين لموانئ كُجرات وقاليقوط ومليبار سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨ م فعاشت الهند اثر ذلك فترة من الهدوء كالذي يشبه هدوء سبق العاصفة .

كانت رغبات ودوافع السلاطين الهنود لا تقل عن امتعاض السلاطين المماليك من

(c) www.nidaulhind.com

النفوذ البرتغالي في السواحل الهندية فبعدما ادركوا ضعف موقفهم من المواجهة مع اساطيل البرتغال الثقيلة التسليح من جهة ونتيجة كثرة اعتداءاتهم ضد السفن الهندية في قاليقوط والمليبار من جهة اخرى ، فقد قام عدد من التجار الهنود بتشكيل عدد من النقابات والهيئات التجارية من اجل حماية التجار ومصالحهم كهيئة مانيجرامان **Manigraman** وفلنجاير **Valanjiyer** وننانديشي **Nanadeshi** [٣٢] التي كانت على غرار هيئة التجار الكارمية التي نشأت في البلاد العربية و في المحيط الهندي غير ان كل تلك الهيئات تشتت ولم تصمد امام الهمجية البرتغالية الجامحة .

كما بادر عدد من سلاطين الهند الى التصدي لتغلغل البرتغاليين السافر ووضع حد لممارساتهم ، إذ قام سلطان ساحل مليبار السامري وامير كُجرات محمود شاه بيغرا الاول (٨٦٣-٩١٧ هـ/١٤٥٨-١٥١١م) بافشال عدد من الحملات البرتغالية الطامحة لمد نفوذهم على السواحل الغربية وعلى الرغم من ان الظروف كانت تميل لصالح البرتغاليين فان محاولاتهم لم تتوقف عند هذا الحد [٣٣] فبدأوا بمراسلة السلطان المملوكي قانصوه الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ/ ١٥٠١- ١٥١٦م) وحثه على التدخل فعلياً لطرد البرتغاليين وانقاذ التجارة الهندية من ايديهم ، ويذكر احد المؤرخين ان في غمرة تلك الاحداث اجتمع في بلاط السلطان الغوري اربعة عشر سفيرا وعلى راسهم سفير السلطان محمود شاه بيغرا صاحب اقليم كُجرات المار الذكر [٣٤] والذي انبأه باحتلال البرتغاليين لمدينة جوا التجارية وطلب منه ضرورة القيام بتحالف عسكري مضاد بين الهند والدول الاسلامية التي يهمها امن الهند ومصالحها المشتركة ، ومن الذين راسلوه ايضا السلطان السامري **Zamorin** صاحب مليبار إذ حذره من حقيقة اطماع البرتغاليين في امتلاك سواحل الهند ومدى خطورة الامر [٣٥] .

وممن امتعض من النفوذ البرتغالي في الهند السلطان يوسف عادل شاه (٩٠٨-٩١٦هـ/١٥٠٢-١٥١٠م) سلطان بيجابور Bijapur الواقعة شمال كُجرات ، وما عدا ذلك نجد ملوك منطقة فيجايانجير **Vejayanager** من الهندوس كانوا يتوحدون في موقفهم مع البرتغاليين لشدة حقدهم على الاسلام ومنهم الملك الهندوسي كرشناديو **Krishnadio** الذي خاطبه البرتغاليون وكسبوا وده من اجل ان ينضم اليهم في الحرب ضد الامارات الاسلامية على ساحل الهند الغربي [٣٦] .

موقف العرب والتجار الاوربيين

هذا الأمر بالمقابل روّع البلاد العربية التي خضعت لسلطان دولة المماليك وخاصة مصر والحجاز واليمن فضلا عن المدن التجارية الواقعة على ساحل البحر المتوسط كالمدن

(c) www.nidaulhind.com

الايطالية في جنوة **Geneva** والبندقية **Venice** إذ انهم كانوا يجنون الارباح الوفيرة من الضرائب المفروضة على التجارة الهندية لدرجة اثارت البرتغاليين الى التعجيل بحملاتهم ليكون لهم نصيب من تلك الاموال [٣٧] .

كشف البرتغاليون عن عدائهم وتصميمهم على تنفيذ مخططاتهم عندما قامت قوة برتغالية باغراق سفينة مصرية محملة بالتوابل تابعة للسلطان قانصوه الغوري في ميناء قاليقوط قبل ان تبحر باتجاه ميناء جدة وذلك سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠٦م [٣٨] ثم قاموا بضرب أي سفينة تدخل المياه الهندية وبالعكس منعوا السفن الهندية من الابحار باتجاه السواحل العربية ففرضوا بذلك عزلة على بلاد الهند في شواطئها الغربية واثروا على الصادرات والواردات .

وفي غمرة تلك الاحداث انتظر السلاطين والملوك الهنود رد فعل السلطان المملوكي الذي تصرف بحكمة وبراعة إذ خاطب اعلى جهة وسلطة دينية تحكم العالم المسيحي لما في الامر من تحديد للمصير فارسل وفدا الى البابا يوليوس الثاني Julius II في روما تكون من رؤساء الكنائس المسيحية في القدس وحملوا شكوى تتضمن ضرورة ايقاف ما يحدث في المحيط الهندي من اعتداء سافر وتعطيل لمصالح الدول ، فاعترف البابا بإساءة البرتغاليين وحاول القيام بمساعي جدية لانهاء اعمال العنف ضد المسلمين ، غير ان القوى الاوربية لم تعر لتلك الجهود اذانا صاغية وضربتها عرض الحائط [٣٩] وذلك يدل على ان الاطماع السياسية والاقتصادية تغلبت على نفوسهم بحيث جعلتهم يتناسون الوازع الديني ودعوات البابا ويمضون في استغلال فرصتهم التاريخية . وترتب على ذلك ان اعد السلطان الغوري اسطولا لمواجهة التحدي الجديد بعد قناعته بعدم جدوى الدبلوماسية لردع البرتغاليين وتعقبهم . وقد سخر جهوده وامواله لبناء التحصينات وشراء الاسلحة وتطوير السفن الحربية وتجنيد المقاتلين ، وصور لنا المؤرخ احمد ابن اياس (٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) مدى اهتمام الغوري ومتابعته لذلك إذ ذهب بنفسه الى ميناء السويس لمشاهدة المراكب التي انشأها ، كما اجتهد بتحصين السواحل العربية وبنى اسوارا منيعة لحمايتها ، ومن جانب اخر فقد ارسل مع سفيره (الطواشي بشير) كتابا الى ملوك الهند اوضح لهم فيه " **ان يكونوا مع السلطان عونةً في قتال الفرنج [البرتغالين] الذين صاروا يتعبثون بسواحل بلاد الهند...** " [٤٠]

ومن جانب اخر كان التجار الجنويون والبنادقة وعدد من اصحاب المتاجر الاوربية يسرهم التعاون فعلا مع الهنود والمسلمين لان انتقال التجارة الهندية الى طريق رأس الرجاء الصالح اضر بمصالحهم جدا لما كانوا ينالونه من فائدة نقلها الى اوربا وتمنوا لو ان السلطان الغوري استجاب لدعواهم في السنوات الاولى لوجود البرتغاليين في الهند إذ كان يمكن القضاء عليهم بسهولة ولكن مماطلة السلطان وانصرافه الى الاحتجاج السلمي والبعثات الدبلوماسية الى ملوك وبابوات اوربا جعل البنادقة يحجمون عن المساعدة واستندوا بذلكم على حرج

(c) www.nidaulhind.com

موقفهم امام العالم المسيحي [٤١] . وفي الواقع لدينا معلومات قدمها المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٥م) وغيره عن اشتراك مراكب البنادقة في حرب طرد البرتغاليين مع اساطيل الهنود والمصريين لاعادة التجارة الشرقية الى طريقها الاصلي [٤٢] .

الحملة العسكرية

بعد ان اتفق الطرفان على توحيد الجهود واستجماع القوى وتنظيم الصفوف والاستعداد لخوض المعركة [٤٣] كانت الاساطيل الهندية مجتمعةً ومتهيئةً بانتظار وصول الاساطيل العربية التي انطلقت من ميناء السويس المصري ووصلت ميناء جدة سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م بقيادة الامير البحري **حسين الكردي** الذي كان نائباً للسلطان المملوكي على جدة ، وقد احضر معه ثلاثة عشر سفينة حربية وعددا من الصغيرة فضلا عن جنوده المجهزين بالسلاح ، ويظهر من خلال تلك التعبئة العسكرية والتحشيدات والتحصينات التي قام بها الهنود والمسلمون انهم اهتموا بالامر لما فيه من تحديد للمصير المشترك بل ان اغلب المسلمين اعتبروها جهادا في سبيل ا [٤٤] .

وكانت الخطة واضحة ومنطقية هدفها الاول هو السيطرة على جزيرة ديو Dio [٤٥] واتخاذها قاعدة يستطيع من خلالها الاتصال بالقوات الهندية ومن ثم القيام بهجوم مشترك ضد البرتغاليين ، وهذا ما تم فعلا ففي سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م استطاع الشركاء انتزاع ميناء الديبل Daybul [٤٦] من ايدي المحتلين ثم التقوا مع الاسطول البرتغالي في معركة قرب ميناء تشاول Chaoul الهندي وبعد يومين من تبادل اطلاق المدافع هزِمَ البرتغاليون وقُتِلَ قائدهم لورينزو دا الميدا Lorenzo Da Almeda [٤٧] ووصف لنا ابن اياس افراح سكان السواحل العربية واحتفالاتهم بهذا الانتصار [٤٨] والتي من خلالها يمكننا الجزم بوقوع احتفالات مشابهه في المدن والسواحل الهندية بالنظر لتحقق الاهداف المشتركة المتمثلة بطرد البرتغاليين .

على ان تلك الافراح لم تدم طويلا إذ سرعان ما تعلم البرتغاليون درسا من هزيمتهم في تشاول فأخذوا يعززون قواتهم و عينوا قائدا جديدا لأسطولهم وهو الادميرال الفونسو البوكيرك الذي حاول الاستعانة بنجاشي الحبشة وطلب منه التعاون من اجل تضييق الخناق على التجار العرب المسلمين ونهب المردودات التي كانوا يحصلون عليهم جراء نقلهم للبضائع [٤٩] ولكن محاولته تلك باءت بالفشل إذ ان علاقة الحبشة بالمصريين كانت جيدة .

ومع ادراك الامير حسين الكردي مدى تنامي قوة البرتغاليين ووعودهم بالانتقام ، لم تهدأ مخاطبات سلاطين وملوك الهند للسلاطين العرب المسلمين من اجل تعزيز الاساطيل عند المحيط الهندي ومواصلة الحرب ضد البرتغاليين فارسلوا للسلطان الغوري ثلاثة سفن محملة بالتوابل مجاناً ليستفاد من ثمنها في بناء الاسوار العظيمة لحماية السواحل كما قاموا هم انفسهم

(c) www.nidaulhind.com

بتحصين ميناء قاليقوط بسور مماثل [٥٠] ، غير ان تلك الاجراءات لم تكن كافية امام اصـرار البرتغاليين على القضاء على التجارة الهندية فباغتوا الاساطيل المتحالفة وهاجموها غفلةً فـي موقعة ديو سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩ م وقصدوا سفينة الامير حسين الكردي واغرقوها واطاحوا بالسفن الباقية ليكون النصر حليفهم هذه المرة وليثبتوا سيطرتهم على المحيط الهندي ويكثـروا من ممارساتهم التخريبية على السواحل مما زاد من حقد الهنود لهم حتى ان السلطان مظفـر شاه (٩١٤ -٩٢٢هـ/١٥٠٨- ١٥١٦م قام بتجهيز حملة هندية ضـدهم سـنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م إلا انها باءت بالفشل [٥١] كما ارسل الغوري مجددا حملة بقيادة سليمان الريس سـنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م غير انها لم تحقق نصرا ضد البرتغاليين [٥٢] .

ذكر عدد من المؤرخين اسبابا للهزيمة في ديو ومنها : قوة الاسطول البرتغالي مـن حيث التجهيز العسكري ، وخيانة حاكم المدينة **مالك اياز** الذي كان نصرانيا وادعى الاسـلام وعَيّن حاكما عليها وانظم سرّاً الى جانب البرتغاليين ، فضلا عن حرمـان الاميـر حـسين الكردي من الامدادات التي ارسلت من السلطان المملوكي وملك الزامورين **Zamorin** بـسبب محاصرته من القوات البرتغالية [٥٣] .

وبعد ان احتل البوكيرك الموانئ الهندية القى على جنوده خطابات معاديـة للاسـلام فتحداه السلطان عادل شاه سلطان بيجابور واستجمع جيشه وخرج اليه بنفسه واستطاع انتزاع مدينة جوا لفترة قصيرة ومن ثم حدثت بينهم معركة غير متكافئة انتهت باسـترجاع المدينـة لصالح البرتغاليين سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م [٥٤] .

ومهما يكن من امر فقد أثبتت احداث ديو عكس ما رواه عدد من المستشرقين من ان الهندوس كانوا يرغبون في دحر الاسلام وتعاونوا مع البرتغاليين فـان الكثيـر مـن ملـوك الهندوس كالزامورين ومليبار وغيرهم ساعدوا حسين الكردي في الحرب ضد البرتغاليين .

اثرالنفوذ البرتغالي على الهند الاسلامية

لقد كانت معركة ديو الفاصلة ضربة قاضية للتجارة الهندية تركت آثاراً جسيما على الاوضاع العامة في بلاد الهند الاسلامية وسواحلها وهي كما ياتي :

اولا : الاثر السياسي والعسكري

لعل اهم الاثار التي نجمت عن معركة ديو هو استيلاء البرتغاليون على مدينـة ديـو والذي مهّد بالتالي الى غزو المناطق الساحلية الاخرى واحتلالها وتوسيع نطاق نفوذهم الـذي استمر قرنا من الزمان ، وكان دا الميدا قد اوصى قواده وجنوده باقامة دعائم قواهم الحربيـة

(c) www.nidaulhind.com

في البحر وليس على السواحل فذلك اضمن لهم كي يستمروا مسيطرين على المنافذ البحريـة ويكون لهم التفوق والتقدم ولكن تلك السياسة سرعان ما تغيرت على عهد البوكيرك الذي سعى الى اقامة القلاع والحصون على السواحل (٥٥) .

كما ولد الاندحار في ديو صمتا وعجزاً من القوى العربية والاسلامية علـى خـوض المعارك البحرية ضد البرتغاليين الذين استغلوا ذلك الصمت وواظبوا على مـضاعفة اعـداد قطع اسطولهم البحري وتوسيع رقعة انتشارهم في المحيط الهندي ومن ثم اغـلاق الملاحـة بوجه السفن العربية والهندية .

وفي سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م توفي البوكيرك في الهند وقبل وفاته بايام بعث برسـالة الى الملك البرتغالي جاء فيها : " اما الهند فهي تتحدث عن نفسها وعني واني اتـرك مكـاني تحت نظر جلالتكم والاجراء الوحيد الذي يتطلب سرعة التنفيذ هو اغلاق المضائق ، واملـي ان تتذكروا دائما الانجازات لتي حققتها في الهند لعلها ترفع من شاني " (٥٦) . وقد خلفه القائـد لوريز سواريز Soarez الذي اختلف تماما عن سياسة سابقه إذ اعتمد سياسة حريـة التجـارة دون اللجوء الى القسوة والتنكيل لدرجة ان حرية التجارة دفعت العديد من الضباط البرتغاليين الى الاستقالة من وظائفهم العسكرية والانخراط في مهنتة التجارة ولعل ذلـك حكمتـه عـدة عوامل منها ان عدد القوات البرتغالية لم يكن متكافئا مع التوسع السياسي الذى وصـلت اليـه البرتغال اذ امتد ليشمل العديد من الدول والبحار والمحيطات ، كما انه في تلك الفترة كانت قد حدثت متغيرات فى الموقف الدولي نجم عن ظهور قوى جديدة مثـل الانكليـز والهولنـديين ونجاح تلك القوى فى كسب مواقع جديدة اعتمادا على سياسة المهادنة مما دفع البرتغال الـى التفكير فى ملاحقة الواقع الجديد ، فضلا عن اقتناع البرتغاليين بسياسة فرنسسكو الميدا نائب الملك فى الهند والتى طالما دافع عنها ايام حكومته وهى تعتمد على كسب ود الشعوب تحقيقـا للمصالح البرتغالية لذا فقد ادركت الادارة البرتغالية خطأ سياسة البوكيرك لكـن بعـد فـوات الاوان .

ثانيا :الاثر الاقتصادي

كان الاثر الاقتصادي اشد وقعاً وتأثيرا في بلاد الهند مـن الاثـار الاخـرى إذ عـمّ الخراب في الموانئ الموانئ والسواحل الهندية بعد ان فقدت تجارتهـا مـع الـدول العربيـة وانقطعت صلاتها بالعالم الخارجي فكانت تلك اكبر خسارة تمنى بها فالتجـارة كانـت تمثـل عصب الحياة وسبب النهضة العمرانية فهي الشغل الشاغل ومصدر رزق اغلب ابناء وعوائل سكان السواحل الذين شاعت البطالة بين اوساطهم حتى ترك العديد منهم العمل فـي زراعـة وتجارة التوابل ودفع العدد الاخر بالهجرة للاماكن الاخرى .

(c) www.nidaulhind.com

وبدلا من ان تصدر الهند السلع والتوابل الى الخارج والاستفادة بثمنها كانت تُسلب وتنهب مجانا لصالح البرتغاليين بحيث تدنت اسعار التوابل في اوربا الى حد كبير بالمقارنة مع اسعارها قبل تلك الاحداث ، ايام كان سعر التوابل في قاليقوط مثلا يباع حتى يصل الى اوربا وقد تضاعف ثلاثة اضعاف ثمنه الاصلي (٥٧) حتى تداول غلاء التوابل في الامثال الشعبية الاوربية إذ كانوا يقولون :" **غال كالفلفل**" (٥٨) وبعد توافر التوابل في المدن البرتغالية تدنت اسعارها الى ما يقرب بين ٢٠- ٤٠ دوقا ذهبيا للقنطار الواحد (٥٩) .

وبموجب ما سبق فقد اصبحت مدينة لشبونة **Lishbona** عاصمة البرتغال مركزاً لسلع وبضائع الهند وقام التجار البرتغاليون بتوزيعها وتصديرها الى مختلف المناطق الاوربية واثرى البرتغاليون ثراءً عاليا إذ كانوا يصدرون سنويا ما يصل ثمنه الى (مليون ونصف دوقا ذهبيا) وازدهرت موانؤهم ونهضت حياتهم الاقتصادية ، في حين ركدت سواحل البحرين الاحمر والمتوسط (٦٠) .

ثالثاً :الاثر الاجتماعي والديني

اشتغل معظم البحارة والجنود البرتغاليين في التجارة بسبب طول مدة اقامتهم على السواحل الهندية ، ويبدو ان الحجم السكاني للبرتغال لم يكن يسمح بارسال المزيد من الجنود الى الهند للمشاركة في العمليات العسكرية فضلا عن بعد المسافة بين البلدين .

وقد حدثت مصاهرات بينهم وبين عدد من سكان السواحل الهندية في قاليقوط وكُجرات وديو لدرجة ارغام زوجات وبنات السكان من المسلمين والهندوس بالقوة على الزواج وتحويلهن الى المسيحية ، كما دخل عدد من المبشرين لتعميد الهندوس ايضا (٦١) .

ونتيجة لذلك فقد تغيرت كثير من عادات وتقاليد الهندوس بالطريقة التي رضى عنها البرتغاليون إذ عملوا على اجبار الناس على التنصير. وهنا يعتبر العديد من المؤرخين ان الروح الصليبية كانت احدى عوامل فشل السياسة البرتغالية في الهند ومنهم المؤرخ البرتغالي يوركا **Yourka** الذي كان شاهدا على نهاية عهد السيطرة البرتغالية على الهند إذ قال :" **ان فشل السياسة البرتغالية يرجع الى الفشل الكامل الذي منيت به أي محاولة لتحويل الناس الى المسيحية** " (٦٢)

رابعا : الاثر الثقافي

تقبل سكان السواحل الهندية الوجود الاسلامي في المنطقة وتعايشوا معه لاكثر من ستة قرون والكثير منهم دخل الاسلام عن طواعية دون اكراه لتأثره بمبادئه السامية وطريقة

(c) www.nidaulhind.com

عرضه وطبيعة منهج الدعاة غير انهم لم يرضوا عن النفوذ البرتغالي والسياسة التهكمية التي اتبعوها واساليبهم الهمجية الطامعة ونواياهم السيئة التي افصحوا عنها منذ البداية .

وقد عبر عدد من الكتاب والمؤرخون الذين عايشوا ذلك الوضع عن معاناتهم وظروفهم الرديئة في عدد من مؤلفاتهم ومثلما ظهر لدينا مؤرخون برتغـاليون كتبـوا عـن الحمـلات البرتغالية كيوركا **Yourka** وكاستانهيدا **Castanheda** وداميو دي كويز **DamioDe Gois** وباروس **Barros** (٦٣) فقد ظهر عدد من المؤرخين الهنود الذين تحدثوا بانصاف عن افعال البرتغاليين في الهند والمعارك التي خاضها المسلمون هناك ضدهم ، ومنهم الشيخ زين الـدين عبد العزيز المعبري (ت ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م) وكذلك قطب الدين محمد بن احمد النهروالي (ت ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٣م) ومحمد قاسم هندو شاه الفارسي الذي استقر في الهند اواخـر القـرن ١٠هـ / ١٦م وغيرهم (٦٤) .

اما في مجال اللغة ورغم عدم حصولنا على معلومات او وثائق تـدل علـى التـاثير المتبادل في اللغات بحكم الاحتكاك المباشر والفترة الزمنية التي قضاها البرتغاليون في سواحل الهند إلا انه ومن خلال العلاقات العامة بين الهنود والبرتغـاليون (علاقـات دبلوماسـية – علاقات زواج ومصاهرة – علاقات عمل ومتاجرة ..) يمكن القول بان كل تلـك العلاقـات اجبرت كلا الطرفين على تعلم لغة الطرف الاخر .

الخاتمة

نستشف مما سبق ان الغزو البرتغالي للسواحل الهندية انما كان مقدمة قويـة لعـصر الاستعمار الاوربي الحديث والذي مثل العامل الاقتصادي احد اهم دوافعه وكان مقدمة لغزوات اوربية عديدة غرتها ارباح التجارة الهندية .

كما لوحظ امتعاض الهنود (مسلمين وهندوس) من سـوء تـصرفات البرتغـاليين وهمجيتهم التي اثرت سلبا على قلة انتاج التوابل وهجرة العديد من المزارعين والتجار وسكان السواحل الى مناطق اخرى داخل الهند وخارجه اكثر امانا . وهذا التدهور في اوضاع التجارة ادى الى انهيار طبقة التجار الكارمية المختصين بتجارة التوابل وبالتالي انحطـاط الاوضـاع العامة في بلاد الهند نتيجة اضطراب الوضع الاقتصادي الامر الذي يدعو الهنود الى التبـاهي والتفاخر مجددا بعلاقاتهم التجارية مع العرب المسلمين التي دامت قرونـا طويلـة محفوفـةً بالتعامل الشفاف والمصداقية والود والمجاملة حتى راينا عمق تلك العلاقـات فـي التحـالف العسكري الذي طلبه سلاطين الهند من السلاطين العرب وغيرهم مـن اجـل ردع الخطـر البرتغالي .

(c) www.nidaulhind.com

الهوامش

(1) ابو حنيفة احمد بن يحيى الدينوري : الاخبار الطوال ، مطبعة بريل (ليـدن –لات) ، ص ٣٢.

(2) ك. بانيكار : اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة : عبد العزيز جاويـد ،دار المعـارف ، (القاهرة - ١٩٦٢) ، ص ٢٠

(3) الأَفْواه ما يعالَج به الطيب كما أَن التوَابل ما تُعالَج به الأَطْعمة. ـِلتُدِر ثم تُحاَـب.والفُـوه أَصل قَولنا فَم لأَن جَمعَه أَفْوَاه. وكلمتُه فَاه إلى فِيّ أَي مشَافِهاً والميم في فَم عِوض عن الهـاء في فُوه لا عَن الوَاو. وكلمة افاوية اصلها فارسي (بو) وعربت فقلبـت البـاء الـى فـاء وجمعت افاوية . ينظر : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، دار الكتاب (بيروت – ١٩٦٧) ، ج١٣، ص ٥٢٥؛ سونيا بن هاو : في طلب التوابل ، ترجمة : محمـد عزيز رفعت ، مكتبة النهضة (القاهرة – ١٩٥٧)، ص ١٤ ؛ شوقي عبد القـوي عثمـان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، سلسلة عالم المعرفة (الكويت –١٩٩٠) ، ص ٢١٤ .

(4) عن انواع التوابل واهميتها ينظر : محمد بن ابراهيم ابن بطوطة : تحفـة النظـار فـي غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، تحقيق: عبد الهادي التا زي ، (المغرب – ١٩٩٧) ، ج٣، ص ٦٠

(5) للمزيد عنهم ينظر : صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر الخارجية ، المجلـة التاريخية المصرية ، ع ٦ ، (القاهرة –١٩٥٦) ، ص ٦ .

(6) كجرات هي اول امارة نشأت على الساحل الغربي للهند ،طولها اثنين وثلاثمائـة مـيلا وعرضها ستة ومائتي ميل ، يحدها من الشمال السند واجمير Ajmer ومن الشرق امارة مالوة Malwa وخانديش Kandesh ومن الغرب والجنوب بحر العرب ازدهـرت فيهـا زراعة التوابل، وديو هو احد موانئها الذي اشتهر كثيرا في العصور الوسـطى. ينظـر : حسين علي الطحطوح :"امارة كجرات الاسلامية في الهند " ، مجلة كلية التربيـة للبنـات –جامعة بغداد (بغداد – ٢٠٠٤) مجلد ١٥(١) ، ص ١٦٨ .

(7) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : عجائب الاثار في الترجم والاخبار ، مطبعة بـولاق (القاهرة –١٩٦٠) ، ج١، ص٦٥.

(8)J.R.Serjeant : The Portuguese In Indian Ocean , (Oxford- 1965) p., 12 .

(9) ابن بطوطة : المصدر السابق، ج٣، ص ٦٠ .

(c) www.nidaulhind.com

(10) رشيدة بسرور : الاسكندر في عهد المماليك ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الاداب والعلوم الانسانية (تونس – ١٩٨٦) ص ٢٠٥.

(11) عثمان : المرجع السابق ، ص١٠ ، ١٩٦.

(12) تعود نشأة دولة البرتغال الى القرن ٥هـ/١١م وقد تناوب على حكمها عدة اسر فنشأت بينهم حروب داخلية ، اما في بداية القرن ٩هـ/١٥م فقد اخذت دولة البرتغال بالاستقرار وتمكنت من انشاء قوة بحرية لها مما جعلها تقوم باعمال توسعية . للمزيد ينظر : فائز علي بخيت الحديدي : العلاقات المصرية الاوربية في عصر المماليك الجراكسة ، اطروحة دكتوراه غيرمنشورة ، كلية الاداب (الموصل – ٢٠٠٥) ، ص ١٥٩.

(13) لها تسميات عديدة مثل راس الزوابع وراس العواصف Cape Tormentoso، وسميت براس الرجاء الصالح لانها فتحت الباب على مصراعيه امام البرتغاليين لطريق الهند. ينظر : A.Toussaint : History Of The Indian Ocean (London – 1966) p. , 95 .

(14) بانيكار : المرجع السابق ، ص ٥ .

(15) علي ادهم : الهند والغرب ، (القاهرة - ١٩٧٨) ، ص ٣٦، ٣٨.

(16) وليد جرادات : اهمية البحر الاحمر الستراتيجية ، دار الثقافة (الدوحة – ١٩٨٦) ، ص ٥٠ ؛ محمود رزق سليم : الاشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للطباعة والنشر (القاهرة – لات) ، ص ٦٥.

(17) عمر سلهم صديق ال صالح بك : الحركة الصليبية في ساحل شرق افريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ،(الموصل – ٢٠٠١) ،ص ١١٩.

(18) ادهم : المرجع السابق ، ص ٣٢.

(19) مانوراما موداك : الهند شعبها ،ارضها ، ترجمة : عبد الفتاح ابراهيم ، مكتبة النهضة (القاهرة – ١٩٦٤) ،ص ١٢٠ ؛ بانيكار : المرجع السابق، ص ١١؛ ال صالح بك : المرجع السابق، ص ٢٣٧ ؛ محمد يحيى الحداد: مقاومة العرب للنشاط البرتغالي البحري بعد اكتشاف راس الرجاء الصالح الى الهند ، مجلة المؤرخ العربي ، ع ٤٥، (بغداد – ١٩٩٣)، ص ٢٠؛ مجهول : الحروب الصليبية الحديثة ، شبكة المعلومات الدولية / الانترنيت ، موقع
http://www.alminbar.net/malafilmy/horoob/4.htm

(20) بانيكار : المرجع السابق، ص ١١.

(c) www.nidaulhind.com

(21) عبد العزيز ابراهيم : حكومة الهند البريطانية والادارة فـي الخلـيج العربـي ، دار المريخ ، (الرياض – ١٩٨١) ص ١٣.

(22) على اسماعيل نصار : قراءة مستخلصة من كتاب قلادة النحر للفقيه اليمني بامخرمة ، شبكة المعلومات الدولية / الانترنيت ، موقع
http://www.aljazeera.net/in-depth/europen_rights/2002/12/12-28-2.htm .

(23) مجهول : الحروب الصليبية ، الموقع السابق .

(24) حسن عبد ا : الاحتلال البرتغالي للبحرين ، شبكة المعلومات الدولية / الانترنيـت ، موقع http://www.vob.org/arabic/truth/truth6.htm .

(25) عبد ا : الموقع نفسه .

(26)هو مفتاح تجارة الهند ومركز انتاج التوابل الجيدة يقع على الساحل الجنوبي الغربي وقد اطلق عليه الرحالة ابن بطوطة تسمية بلاد الفلفل ومن موانئه : قاليقوط وكـولم ملـي Colam malli . ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق، ج٤، ص ٨٠ ؛ عثمـان : المرجع السابق، ص ١٨٨ .

(27)تقع على ساحل الهند الشرقي وتسمى ايضا بساحل كورمانديل Coromandil. ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤، ص ٨٢ .

(28) S .Lane Pool : Egypt in the Middle Ages ,(Holland- 1968), P., 350

(29) نصار : الموقع السابق، نقلا عن : بامخرمة : قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر .

(30) C.E. Bosowrth : The Islamic Dynasties , (Edinburgh – 1967), P., 139 .

(31) فخر الدين عبد الحي الحسني : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر مطبعة حيـدر اباد (الدكن – ١٩٩٧) ، ج٤، ص٣٠٩ .

(32) R.Thapar : A history of India , (UK – 1977) PP ., 208, 210 , 331.

(33) الطحطوح : المرجع السابق، ص ١٦٩.

(34) قطب الدين احمد بن محمد النهروالي : البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامـة ، (الرياض – ١٩٦٧) ، ص ١٨ .

(35) محمد بن احمد بن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط١، المطبعة الاميريـة (القاهرة – ١٨٩٤) ج٣ ، حوادث سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م ؛ زين الدين عبـد العزيـز المعبري : تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين ، (لـشبونا – ١٨٨٩) ، ص ٤٢ ؛ بانيكار : المرجع السابق، ص ٦٠ .

(c) www.nidaulhind.com

(36) احمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، دار الثقافة (القاهرة – ١٩٥٧) ج١، ص ٢٢٨ ؛ بانيكار : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(37) جمال الدين الشيال : " مصر وطريق الهند " مجلة المقتطف ، مجلد ٩٨ ، (القاهرة – ١٩٤٢) ، ص ٥٢٨.

(38) محمد رزوق : صفحة من صفحات التاريخ المشترك بين المغرب والخليج العربي خلال القرن السادس عشر الميلادي (الغزو البرتغالي كنموذج) ، مجلة حوليات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، مج٢ ، (القاهرة – ١٩٥٨) ، ص ١٢٧-١٢٨.

(39) محمد شفيق غربال : موسوعة الحضارة المصرية ، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة – لات) ، ص ٥٥٢.

(40) ابن اياس : المصدر السابق، ج٤، ص١٨٥.

(41) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة – ١٩٧٠) ، ص ٥١.

(42) احمد بن علي المقريزي : السلوك لدول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر، (القاهرة- ١٩٥٨) ج ٢، ص ١٠٧ ،١٨٨ ؛ اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، المطبعة الاميرية (القاهرة – ١٩٢٣) ، ج٢، ص١٨٩ .

(43) ابن اياس : المصدر السابق ، حوادث ٩١٦ هـ / ١٥١٠م ؛ المعبري : المصدر السابق، ص ٤٢ ؛

(44) Serjeant : Op.Cit.P., 44 نقلا عن ابن شبنل

(45) هو ميناء زاخر بالبضائع الواردة من مختلف بلدان المحيط الهندي ويعمل اغلب سكانه بالتجارة ، وقد قدر عدد المشتغلين منهم بتلك المهنة ما يقرب من خمسة الاف تاجر كما يصلها سنويا مايقرب من الفي تاجر من خارج الهند مما يد على عظم موقعها واهميتها التجارية . ينظر : عثمان : المرجع السابق، ص ١٨٧ .

(46) ميناء يقع بالقرب من ديو وكانت تفد اليه السفن التجارية الاسلامية خاصة من عدن ومكة وهرمز . ينظر : عثمان : المرجع السابق، ص ١٨٧ .

(47) المعبري : المصدر السابق، ص ٤٠ ؛ نصار : الموقع السابق ؛ ادهم : المرجع السابق، ص ٤٩ .

(48) حوادث سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨م .

(49) سرهنك : المرجع السابق ، ج٢، ص ٣٦.

(c) www.nidaulhind.com

(50) المعبري : المصدر السابق، ص ٤٢

(51) ابن العماد عبد الحي الحنبلي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدس (القاهرة – ١٩٤٧) ، ج٨ ، ص١١٥ ؛ ابن اياس : المصدر الـسابق، ج٣، ص ٧٧ ؛ سرهنك : المرجع السابق، ج٢، ص ٣٥.

(52) ابن اياس : المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٣ ؛ الحديدي: المرجع السابق ، ص ١٧٤.

(53) الساداتي : المرجع السابق، ج١، ص ٢٢٩؛ نصار : الموقع السابق ؛ عبد ا : الموقع السابق ؛ Toussaint : Op.Cit: p., 106 .

(54) A . Zahoor : Muslims In The Indian Subcontinent / Internet On : www.salam.muslemonline.com

(55) ابراهيم : المرجع السابق، ص ١٩ ؛ موداك : المرجع السابق، ص ١٢٠ .

(56) عبد ا : الموقع السابق.

(57) رشيدة بالسرور : الاسكندرية في عهد المماليك ، اطروحة دكتورة غير منشورة ، كلية الاداب والعلوم الانسانية (تونس – ١٩٨٦) ، ص ٢٠٧ .

(58) بن هاو : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(59) الدوق Duk عملة اوربية بندقية تعود لفترة العصور الوسطى والقنطار = مايقرب من نصف طن . ينظر : توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، دار الكتب (الموصل – ١٩٧٥) ص ١٣٧ ؛ بسرور : المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(60) Toussaint : Op.Cit. P., 94.

(61) بانيكار : المرجع السابق، ص ٤٥.

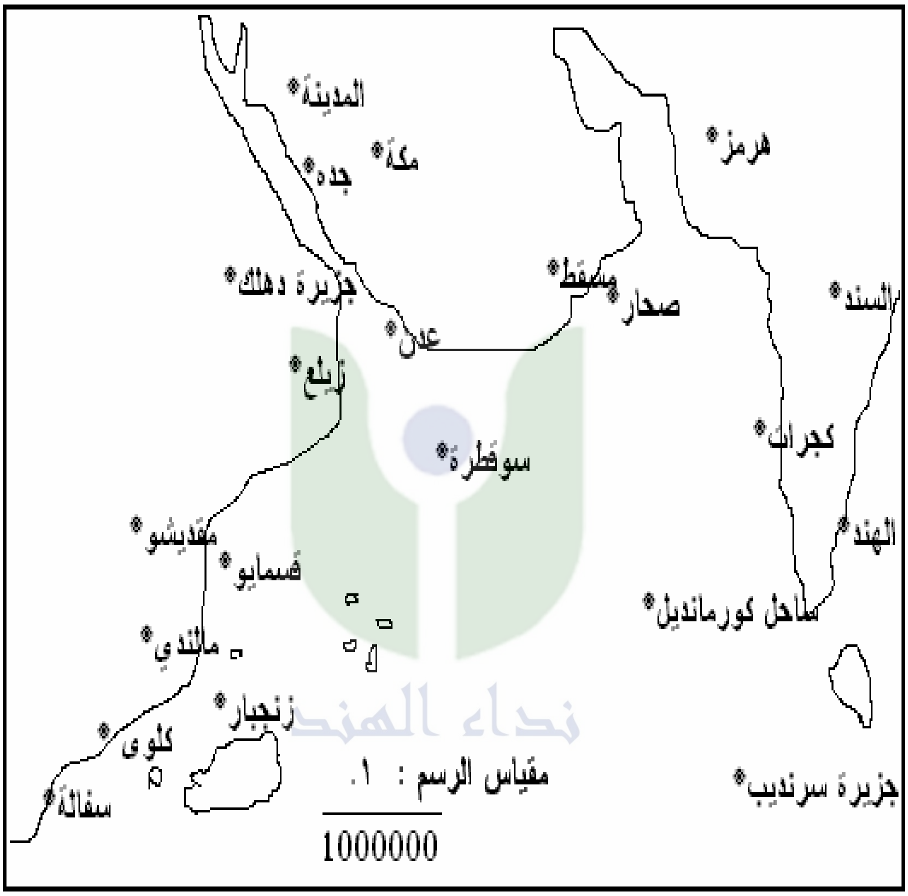
(62) عبد ا : الموقع السابق ؛موداك : المرجع السابق والصفحة.

(63) Serjeant : Op.Cit.P., 45 .

(64) ومن الجدير بالذكر ان المستشرق بانيكار هو احد ابناء الهنود المتزوجين من امهـات برتغاليات أي (المهجنين) وكان قد ساهم في الكتابة عن النفوذ البرتغالي في الهند فـي كتب عدة .ينظر :مقدمة كتابه : اسيا والسيطرة الغربية .

(c) www.nidaulhind.com

خارطة النفوذ البرتغالي في السواحل العربية والهندية *



*نقلا عن : وليد جرادات : الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر ، ص ٩٧